﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ [يس: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ما بعدَ الإهلاكِ إلّا التَّأسيفُ ممّن لَمْ ينتفعْ بالمواعظِ

لَمّا أخبرتِ الآياتُ السّابقةُ عن مصيرِ القومِ المُكذِّبين، وبما سَبق ذِكْرُه وهو الحقُّ من أمرهم، ورغَّبَهم بما ضَرَب لهم من المَثَل ورهّبهم العذابَ فلم ينفعْهم ذلك؛ بل وقَع لهم من العذابِ ما وقع؛ ناسبَ ذِكرُ الحسرةِ على العباد الّذين يُصرّون على الاستهزاءِ، ويُعانِدون أنبياءَ اللّه تعالى، لبيانِ أنَّ الاستجابةَ لأمرِ اللّه تعالى من المدعوّين قليلة، ففيه تنبيهٌ وتحذيرٌ وتعريضٌ من الوقوع فيما وقعَ به أولئك المذكورون.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَٰحَسۡرَةً﴾: أصلُ (حسر) كَشْفُ الشَّيْءِ، يُقالُ: حَسَرْتُ عن الذِّراعِ؛ أيْ: كَشَفْتَها، والحاسِرُ: الَّذي لا دِرْعَ عليه ولا مِغْفَرَ[1]، ومنَ البابِ: الحَسْرَةُ: التَّلَهُّفُ على الشَّيْءِ الفائِتِ، وهي أَشَدُّ حالاتِ النَّدَمِ حَتَّى يبْقى النادِمُ كالحَسيرِ من الدوابِّ الَّذي لا مَنْفَعَة فيه[2]، يُقالُ: بعيرٌ حسيرٌ، إذا أتعبه السَّيْرُ فلم تَبقَ له قوَّةٌ[3]، والمُرادُ بالحسرةِ في الآيةِ: شِدَّةُ النَّدمِ المَشوبِ بتلهُّفٍ واغتمامٍ على نفعٍ فائتٍ ولا يُمكنُ ارتجاعُه[4].

2) ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: (هزأ) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على السُّخرية، يُقالُ: هَزِئَ واستَهزَأَ، إذا سَخِر[5]، ورَجُلٌ هُزَأَةٌ: يَهْزَأ بالنّاسِ، وهُزْأَة: يُهْزَأُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسر).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حسر).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (حسر).
(4) السّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 186، وابن الهائم، التّبيان، ص: 176.
(5) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (هزأ).

مِنْهُ[1]، والهُزْءُ: مَزحٌ في خُفْيَةٍ، وقد يُقالُ لِما هو كالمَزح، والاسْتِهْزاءُ: ارتيادُ الهُزْؤِ، وإن كان قد يُعبَّرُ به عن تعاطي الهُزْؤ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التَّوبة: 65]، والمُرادُ بالهُزْءِ في الآية: المُبالَغَةُ في السُّخريةِ والاستخفافِ بالغَير.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا تنفعُ الحسرةُ والنّدامةُ حينَ وقوعِ العذابِ

تُبيِّنُ الآيةُ حالَ العبادِ يومَ القيامةِ إذا عاينوا العذابَ على تكذيبِهم رُسُلَ اللهِ ومخالفةِ أوامرِه، فلَمْ يأتِهم رسولٌ من عندِ اللهِ لدعوتِهم إلى التَّوحيد والحقِّ والخيرِ لأنفسِهم إلّا استهزؤوا به وكذّبوه، وجَحَدوا ما أُرسِلَ به من الحقِّ[2]، وقد لَحِقتْهم الحسرةُ والأسفُ والنَّدامةُ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآيةِ عن السّابقِ:

اطّرادُ سُنَّةِ الكافرينَ في تكذيبِهم الرّسلَ والاستهزاءِ بهم

جاء قولُه تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ مفصولًا عمّا قبلَه؛ لأنَّ الجملة تذييلٌ لِما سبقَها، فهي تُفيد العمومَ والكلّيَّةَ، فهو شاملٌ للأُمّة المقصودةِ بِسَوقِ الأمثالِ السّابقةِ من قولِه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [يس: 13]، واطّرادَ هذا السَّنَنِ القبيحِ فيهم[3]، ففي الكلامِ توكيدٌ لِما سبق ذِكْرُه في مضامينِ الآيات.

فائدةُ النّداءِ ﴿يَٰحَسْرَةً﴾ وغرضُهُ:

مناداةُ الحسرةِ للتّنبيهِ إلى أمرٍ عظيمٍ عجيبٍ يقعُ في زمانِ الحسرةِ

جاء النِّداءُ في قولِه تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾، للتّنبيهِ على ما يُنادَى له لعِظَمِ شأنِه وخَطَرِه ليُصْغيَ إلَيْهِ السّامِعُ؛ فالمعنى: أيُّها النّاسُ، تنبَّهوا على ما يقع في زمان الحسرةِ وأنَّ هذا وقتُكِ يا حسرةُ فتعالَي، فإنَّ العربَ إذا اجتهدت في المبالغةِ في الإخبارِ عن عظيمٍ

(1) الخليل، العين، وابن سِيدَه، المُحكم: (هزأ).
(2) البغويّ، معالم التَّنزيل: 4/ 12، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 23/ 5.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 7.

يقعُ فيه جعلتْه نداءً، ومنه مناداةُ الحسرةِ في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمر: 56]، ومناداةُ الويلِ في قولِه تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ [هود: 72]، ومِثلُه مناداةُ الأسفِ في قولِه: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 84][1].

بلاغةُ المجازِ في النّداءِ ﴿يَٰحَسْرَةً﴾:

جاء النِّداءُ في قولِه تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ على المَجازِ؛ لأنَّ الأصلَ في المُنادَى أن يكونَ للعاقلِ، فلمّا نوديَتِ الحسرةُ نُزِّلت منزلةَ العُقَلاءِ، لبيانِ عِظَمِ هذه الحالةِ العجيبةِ التَّي يُتحسَّرُ فيها، والمعنى: يا حسرةُ تعالَي فاحضُري؛ فهذه من الأحوالِ والأوقاتِ الَّتي من حقِّها أن تَحضُري فيها ليتحسَّرَ بكِ من استهزأ برُسُلِ اللهِ، والمُرادُ بالأحوالِ ما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾؛ أيْ: إنَّ العبادَ يتحسّرون بكِ على أنفسِهم تندُّمًا وتلهّفًا لاستهزائِهم برُسُلِ اللهِ[2].

الحسرةُ حالٌ عجيبةٌ تلحَقُ المكذِّبين يومَ القيامةِ فتَزيدُهم عذابًا فوقَ العذابِ

وأجاز بعضُ النّحاةِ والمفسّرينَ أن يكونَ المُنادَى محذوفًا بتقديرِ: (يا هؤلاءِ حسرةً على العباد)، أو: (يا قومِ حسرةً على العباد)، ويكونُ (حَسرَةً) مصدرًا منصوبًا بفعلٍ تقديرُه: (أتحسّرُ حسرةً)، وتقديرُ الكلام: (يا هؤلاءِ أتحسَّرُ حسرةً على العبادِ)[3]، وعلى هذا الوجهِ فهو مجازٌ بالحذفِ في النّداءِ، ونكتةُ حذفِ المُنادَى في هذا الأسلوبِ عظَمةُ الأمرِ المذكورِ وغلبَتُه بينَ النّاسِ بحيثُ يُنادَى لهُ كلُّ قومٍ، لأنَّهم قد حلّوا محلَّ مَنْ يُتَحَسَّرُ عليه، ولهذا جاء الكلامُ بعدَه في سياقِ العُمومِ، وعلى كلا الوجهَيْنِ فالمعنى عَلَى التَّعَجُّبِ، وهو أبلَغُ مِن أن يُقالَ: العَجَبُ من العباد[4].

(1) الزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 284، والواحديّ، التّفسير البسيط: 8/ 84 - 85.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 512، ومكّيٌّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 9/ 6023، والعكبريُّ، التّبيان: 2/ 1081، والزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 13.
(3) العكبريّ، التّبيان: 2/ 1081، والمُنتجب الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 5/ 347.
(4) الزّركشيّ، البرهان: 3/ 353.

نكتةُ استعمالِ مفردةِ الحسرةِ وتنكيرِها:

الحسرةُ شدَّةُ نـدمٍ يـقـطـعُ صاحبَه عن بلوغِ النّفعِ

استَعملَ النَّظمُ الكريمُ مُفردةَ الحسرةِ في قولِه تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ وهي شدَّةُ النَّدمِ مع تلهّفٍ على ما فات من النّفعِ، بأن يكونَ الإنسان ذو الحسرةِ في حالةٍ من التّندُّم والتّلهّف ما لا نهايةَ بعدَه حتَّى يصيرَ به حسيرًا؛ أيْ: مُنقطعًا[1]، أو هي الغمُّ على ما فات والنَّدمُ عليه كأنَّ المُتحسِّرَ انحسَرَ عنه قواهُ من فَرط ذلك أو أدركَهُ إعياءٌ عن تدارُك ما فَرَط منه[2]، والمعنى متقاربٌ، والمآلُ واحدٌ وهو شدّة ندم المُتحسّرِ وتلهّفه لِعدم قدرته على تدارُك ما فاتَه من الخَيرِ العظيم، ليُفيدَ أنَّ المُستهزئينَ برُسُلِ اللّهِ يتندّمون على استهزائهم ويتمنَّونَ أن لو كانوا يستطيعونَ تدارُكَ ما فاتَهُم من الإيمانِ برُسُلِ اللّهِ وتوقيرِهم واحترامِهم واتّباعِهم، وقد نُكِّرَ لفظُ الحسرةِ لإفادة شِدَّتِها الّتي يتحسَّرها المكذّبون المُستهزؤون بالرُّسُل، وأنَّها حسرةٌ عظيمةٌ.

بلاغةُ الاستعارةِ التّمثيليَّة ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾:

حـقـيـقٌ بالمُستهزئ أن يُتحسَّرَ عليه

التّحسُّرُ في قولِه تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ استعارةٌ، تَمْثيلًا لِحالِ عِبادِ اللّهِ تَعالَى في تَكْذيبِهِمْ رُسُلَ اللّهِ بِحالِ مَنْ يَرْثي لَهُ أَهْلُهُ وُقوعَهُ في هَلاكٍ أَرادوا مِنْهُ تَجَنُّبَهُ[3]، والغرضُ من الاستعارةِ تعظيمُ ما جناهُ المُستهزئون على أنفسِهم ومَحنوها به، وفَرطُ إنكارِه تعالى لاستهزائِهم وتَعجيبِه منه[4].

دلالةُ حرفِ الاستعلاءِ في ﴿عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾:

دلَّ حرفُ الاستعلاءِ في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ على تمكُّن الحسرةِ من المُستهزئين واستيعابِها لهم؛ فهي قد أحاطت بالعبادِ فأسقطتْهم إهلاكًا وعذابًا.

---

(1) مكّيُّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 9/ 6027، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 7.

(2) الرّاغب، المفردات: (حسر).

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 8.

(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 13، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 267، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 122 - 123، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 7.

معنى (أل) في لفظِ ﴿ٱلۡعِبَادِۚ﴾:

تـحـتـمـلُ الاسـتـغـراقَ لتفاوُتِ الحَسْرةِ بـيـن الـعـبـادِ، والـعـهـدَ للنَّصِّ على المذكورين

يُحتَمَلُ أن تكونَ (أل) في لفظِ العبادِ في قولِه تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ عهديَّةً، فيكونَ المُرادُ بالعبادِ جميعَ المستهزِئين بالرُّسل، وهو ما دلَّ عليه سياقُ الآية، كما تَحتَمِلُ أن تكونَ للاستغراقِ ثمَّ خُصَّ الكلامُ بالمستهزئين بما دلَّ عليه السّياقُ، وحينئذٍ في مَجيءِ لفظِ العبادِ على العموم إشارةٌ إلى أنَ كلَّ عبدٍ من العبادِ حقيقٌ بأن يَتحسَّر، إذ لا يخلو أحدٌ عن تقصيرٍ ما إلّا مَن رحمه اللّهُ تعالى، وهو ما يَشترِكُ مع دلالةِ لفظِ التّغابُنِ، وعلى القولِ بأنَّ (أل) للعهدِ أو للاستغراقِ يدخُلُ في اللَّفظ أصحابُ القريةِ دخولًا أوّليًّا لمَجيءِ الكلامِ في سياقِ الحديثِ عنهم[1].

بلاغةُ التَّعريضِ في استعمالِ لفظ ﴿ٱلۡعِبَادِۚ﴾:

تركُ المعنى العامِّ للفظِ العبادِ إلى المعنى الخاصِّ تعريضٌ وتهكُّمٌ بالمُستهزِئين

على القولِ بأنَّ (أل) في لفظِ ﴿ٱلۡعِبَادِۚ﴾ للعَهدِ وأنّ المُرادَ من العبادِ المستهزئون يكونُ في الكلامِ عُدولٌ، وبيانُه أنَّه لمّا كان غالبُ الاستعمالِ القرآنيِّ للفظِ العبادِ في معنى العبادِ الطّائعينَ أو معنى عُمومِ العبادِ، وأتَى هنا على أنَّ المُرادَ به المُستهزِئونَ دلَّ على العُدولَ عن الأصلِ في معنى اللَّفظِ لمَجيئِه على خلافِ الغالبِ في الاستعمالِ[2]، ومُناسَبةُ العدولِ هو التّعريضُ بالمُستهزِئينَ، فإنَّ ذِكْرَ العباد الموحيَ باقتصارِه على الطّائعين في سياقِ الحسرة عليهم، إشعارٌ بهَول ما سيكونُ على مَن سِواهم مِن المُستهزِئين، ما فيهِ مِن رائحةِ التّهكُّم بهم.

نكتةُ تعريفِ لفظِ ﴿ٱلۡعِبَادِۚ﴾ بـ(أل):

للسّياقِ أثرٌ في نَظْمِ الألفاظِ وانتقاءِ المباني

جاء التَّعبيرُ بالتَّعريفِ بـ(أل) دونَ الإضافةِ في لفظِ ﴿ٱلۡعِبَادِۚ﴾؛ فلَمْ يَقُلْ: (يا حسرةً على عبادي)؛ وذلك لأنَّ الإضافةَ إلى اللّهِ تعالى

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 122.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 344، والبسيليّ، نكتٌ وتنبيهاتٌ في تفسير القرآن المجيد: 3/ 448.

تكسو المُضافَ شرفًا، كقولِه تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفُرقان: 63]، وقَوْلِه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢﴾ [الحِجر: 42]، وكذلك: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الصّافات: 40]، فيكونُ اللّفظُ في سياقِ التّكريم والتّشريف، وقد جاء اللّفظُ في الآيةِ في سياقِ التّوبيخ والتّعجيبِ من حالِ العبادِ المُكذِّبينَ للرُّسُل المُضمَّنِ الدّعوةَ إلى تَركِ هذا الأمرِ واجتنابِه جاءَ اللَّفظُ غيرَ مُضافٍ إلى اللهِ تعالى.

علَّةُ فصلِ الجملةِ عن السّابقة:

الاستهزاءُ بالرُّسُل دليلُ الكفرِ وسببُ الحسرةِ

جاءت جملةُ ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ مفصولةً، لأنَّها تفسيرٌ وبيانٌ لسبب الحسرةِ والنّدامةِ والتّعجّب، وقد كانت الجملةُ بيانًا لسبب الحسرةِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ وإنْ كانَ قَدْ وقَعَ بَعْدَ ذِكْرِ أَهْلِ القَرْيَةِ؛ فَإِنَّهُ لَمّا عَمَّمَ عَلَى جَميعِ العِبادِ حَدَثَ إيهامٌ في وجْهِ العُموم، فَوَقَعَ بَيانُهُ بِأَنَّ جَميعَ العِبادِ مُساوونَ لِمَنْ ضُرِبَ بِهِمُ المَثَلُ، ومَنْ ضُرِبَ لَهُمْ في تِلْكَ الحالَةِ المُمَثَّلِ بِها، ولَمْ تَنْفَعْهُم المَواعِظُ والنُّذُرُ البالِغَةُ إلَيْهِمْ مِنَ الرَّسولِ المُرْسَلِ إلَى كُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ ومِنْ مُشاهَدَةِ القُرونِ الَّذينَ كَذَّبوا الرُّسُلَ فَهَلَكوا، فَعُلِمَ وجْهُ الحَسْرَةِ عَلَيْهِمْ إجْمالًا مِنْ هَذِهِ الآيَةِ، ثُمَّ تَفْصيلًا مِنْ قَوْلِهِ بَعْدُ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾[1].

بلاغةُ أسلوبِ القصرِ بطريقِ النّفي و﴿إِلَّا﴾:

صنعةُ الأقوامِ المُتَّقنةُ مع الرُّسُلِ هي الاستهزاءُ والسُّخريةُ

جاء أسلوبُ القَصرِ في قولِه تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ بطريقِ النّفي و﴿إِلَّا﴾، وهو استثناءٌ مُفرّغ، لنفي كلِّ فعلٍ صدَر عن الأقوامِ تجاهَ الرُّسُلِ الَّذين أتوهُم مُنذرين، وإثباتِ فعلٍ واحدٍ وهو الاستهزاء، فهو استثناءٌ من أعمِّ الأحوال مِنَ الضَّميرِ في

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 8 - 9.

﴿يَأۡتِيهِم﴾؛ أيْ: ما يَأْتيهِمْ رَسولٌ في أيِّ حالٍ مِنْ أَحْوالِهِمْ إلّا في حال اسْتِهْزائِهِمْ بِهِ؛ أيْ: ليس لهم حالٌ ولا عملٌ مع الرُّسُل إلّا بالاستهزاءِ بهم، ففيه تبكيتٌ لهم وتوبيخٌ شديدٌ[1]، وهذا أبلغُ من مجرّد الإخبار بأنَّهم كانوا يستهزئون، فهُم لم يُقدِّموا للرُّسُلِ شيئًا إلّا الاستهزاء.

فائدةُ التّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ ﴿يَأۡتِيهِم﴾:

جاء التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ ﴿يَأۡتِيهِم﴾، ليُفيدَ استمرارَ استهزائِهم وتجدُّدَه كلَّما أتاهم رسولٌ، ففيه زيادةٌ في التّوبيخ لاستهزائِهم، ولإشعارِهم بمزيدِ الحسرةِ.

فائدةُ استعمالِ ﴿مِّن﴾ في ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾:

دلَّ استعمالُ حرفِ ﴿مِّن﴾ الدّاخلةِ على لفظِ ﴿رَّسُولٍ﴾ على العمومِ، بمعنى أنَّه لا يُرادُ به رسولٌ واحدٌ؛ بل عمومُ المُرسَلين.

فائدةُ تنكيرِ لفظِ ﴿رَّسُولٍ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿رَّسُولٍ﴾، لإفادةِ الشُّيوع والعمومِ في الوقتِ والحالِ، لا سيَّما أنَّ اللفظَ قد جاءَ في سياقِ النّفي، والمعنى: أيُّ رسولٍ من عندِ اللّهِ يأتيهم وفي أيِّ وقتٍ يستهزئون به، من غيرِ قَيدٍ لوصفِه، ففيهِ تعجيبٌ من أمرِ المُستهزئين وتقبيحٌ لفِعلِهم، مع تضمينِ الكلامِ الوعيدَ بما ذُكِر من لفظِ الحسرةِ الَّذي يقتضي التّنديمَ يومَ القيامةِ، لانخراطِ الاستهزاءِ في سِلْكِ التّكذيب.

استهزاءُ المكذِّبينَ لا يَتقيّدُ بوصفٍ أو حـالٍ؛ لأنَّـه محضُ كُفرٍ

نكتةُ التّعبيرِ بصيغةِ المُفردِ ﴿رَّسُولٍ﴾:

جاء التعبيرُ بصيغةِ المُفردِ في قولِه تعالى: ﴿رَّسُولٍ﴾، للإشعارِ بأنَّهم يستهزئون بأيِّ رسولٍ، سواءٌ أكانَ مُرسَلًا وحدَه، أم معَ رُسُلٍ آخَرين، فيتناولُ المُفردَ والجمع.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 8.

دلالةُ ذِكْرِ الفعلِ ﴿كَانُواْ﴾:

عدلُ اللهِ تعالى مع المُستهزِئين راحةٌ للمؤمنين

جاء ذِكْرُ فعلِ الكونِ في قولِه تعالى: ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ للإشعارِ بعراقتِهم في الاستهزاء، ولتأكيدِ استمرارِهم عليه، وأنَّ دَيْدَنَهم مع رُسُلِ اللهِ الاستهزاءُ، فدلَّ على أنَّ عذابَ اللهِ تعالى لهم، لم يكُنْ بسَببِ فِعلٍ عابرٍ، أو قولٍ طارئٍ؛ بل هو منهَجٌ انتهَجوهُ في التَّعامُلِ معَ الرُّسُلِ المُنذرينَ.

نكتةُ تقديمِ ﴿بِهِۦ﴾ على ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

التّعجيبُ من حالِ الكافرينَ فكأنَّهم لا يَستهزِئون بأحدٍ إلّا بالرّسولِ ﷺ

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿بِهِۦ﴾ على الفعلِ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾، ليُفيدَ التّخصيصَ الإضافيَّ؛ أيْ: كانوا بهِ وليسَ بغيرِه يستهزئون، فكأنَّهم لا يَستهزِئون بأحدٍ إلّا بالرّسول، تعجيبًا من فِعلِهم وتوبيخًا لهم، كما أنَّ فيه اهتمامًا بالرّسول ﷺ وعنايةً به ليُشعِرَ باستفظاع الاستهزاء به، كما أنَّ في تأخيرِ الفعل رعايةً للفاصلة ورؤوسِ الآي، فَحَصَلَ مِن تقديم الجارّ والمجرور غَرَضانِ: أحدُهما مِنَ المَعاني وهو تقديمُ الجارِّ والمجرور، والثّاني من البديعِ وهو رعايةُ الفاصلة[1].

فائدةُ التَّعبيرِ بـ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ مضارعًا:

عقابُ الاستهزاءِ شاملٌ لكلِّ مَنْ آثرَ الاستهزاءَ على الإيمانِ إلى يومِ الدّينِ

جاء التَّعبيرُ بصيغةِ المضارع ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾، لتصويرِ الحالةِ التي كان عليها الأقوامُ السّابقون، ولبيان بشاعةِ فِعلِهم وقُبحِه، كما أنَّ في صيغةِ المضارع تعريضًا بمَن هو مُستمرٌّ في الاستهزاءِ برسولِ الله ﷺ من المشركين، وبمَن يَستهزِئُ بالدُّعاةِ من أتباعِه إلى يومِ الدّين، فيَدخُلُ في ذلك كلُّ مَن آثَرَ الاستهزاءَ على الإيمان.

بلاغةُ الكنايةِ في الآيةِ الكريمةِ:

لمّا جاء قولُه تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 9.

الـرُّسـلُ أبـعـدُ الخَلقِ من الهُزءِ حـالًا ومـقـالًا وفعالًا

كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ على معنى التّنديمِ والتَّحسّرِ من استهزاءِ الكافرينَ بالمُرسَلين، وعلى معنى التّعجيبِ من هذا الفعلِ القبيح؛ أفاد بلازمِه على طريقِ الكنايةِ أنَّ الرُّسُلَ عليهِمُ الصّلاةُ والسَّلامُ أبعدُ الخَلقِ من الهُزءِ حالًا ومقالًا وفعالًا.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»